

عناصر القوة العقلانية للنظام الإسلامي

المكان: طهران

الحضور: مسؤولو نظام الجمهورية الإسلامية

المناسبة: اللقاء السنوي في شهر رمضان المبارك

الزمان: ١٦/٤/١٣٩٣ ش. ٩/رمضان/١٤٣٥ هـ. ٧/٠٧/٢٠١٤ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

أولاً أرحب بالإخوة والأخوات المسؤولين الأعزاء الملتزمين في نظام الجمهورية الإسلامية فرداً فرداً. إنها جلسة جيدة جداً وستكون إن شاء الله مشحونة وزاخرة بالبركات والهداية الإلهية وأنوار هذا الشهر. وقد كانت كلمة السيد رئيس الجمهورية (١) كلمة جيدة جداً وشفافية وواقعية. ما ينويه مسؤولو البلاد ويعقدون همهم عليه نتمنى أن يصل ببركة هذا الشهر وبركة الأدعية الزاكية للصالحين والمؤمنين والصائمين إلى النتائج التي يتوخاها مسؤولونا الأعزاء. أطلقوا على شهر رمضان صفة «المبارك»، والسبب في أن هذا الشهر مبارك هو أنه سبيل النجاة من النار والفوز بالجنة، حيث نقرأ في دعاء أيام شهر رمضان: «وَهَذَا شَهْرُ الْعِتْقِ مِنَ النَّارِ وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ» (٢). النار والجحيم الإلهيان وكذلك الجنان والنعيم الإلهيان موجودان في هذه الدنيا. ما يتحقق في نشأة الآخرة هو باطن الشيء الموجود هنا: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٣). جهنم تحيط بالكافرين والظالمين والمعاندين والمعارضين في هذه الدار وفي هذه النشأة وفي هذه الحياة. وكذا الحال بالنسبة للجنة.

أن نتقل من الجحيم إلى الجنة فهذا شيء بأيدينا، ويتحقق هنا، وإنما تشاهد صورته العينية والباطنية والواقعية في تلك النشأة. بوسعنا أن نقوم بهذا السفر وبهذا السير من جحيم الأعمال السيئة وجحيم القلوب السيئة وجحيم الأفكار السيئة ومن الجحيم الخاص بهذه الدنيا إلى جنة السلوك الحسن وجنة الأفكار الصالحة والسلوك الحسن والطباع الحسنة. واسم هذا التحرك هو الإنابة والتوبة. لذلك ورد في الدعاء: «وَهَذَا شَهْرُ الْإِنَابَةِ وَهَذَا شَهْرُ التَّوْبَةِ» (٤). بالإنابة والتوبة والعتق من النار سيحصل الفوز بالجنة.

من بركات شهر رمضان المبارك الأدعية الواردة في هذا الشهر. هذه الأدعية تعلمنا كيفية التحدث مع الله والاستعانة به والتوجه له، وتعلمنا كذلك معارف عديدة لا يجد الإنسان نظيرها حتى في الروايات الأخلاقية الدارجة. لقد اخترت فقرتين من أدعية هذا الشهر أذكرهما هنا في بداية حديثي. واختيار هاتين الفقرتين إنما هو بسبب ما نحتاجه أنا وأنتم في الوقت الحاضر. إننا اليوم باعتبارنا مسؤولين في بلادنا العزيزة ومسؤولين في نظام الجمهورية الإسلامية نحتاج حاجة مبرمة للعمل الجاد والمتابعة المصحوبة

بالقاء والإخلاص، وهذه الأدعية تدفعنا إلى هذا الاتجاه. أحد الأدعية دعاء اليوم الأول من شهر رمضان المبارك، وقد اخترت منه هذه الفقرة: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ نَوَى فَعَمِلَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ شَقِيَ فَكَسِلَ وَلَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى غَيْرِ عَمَلٍ يَتَّكِلُ» (٥). إنها ثلاث جمل. تقول الجملة الأولى: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ نَوَى فَعَمِلَ».. اللهم اجعلنا ممن يعملون بنية وقصد ومعرفة. إنه العمل الهادف والعمل المصحوب بالنية والعمل المعلوم مسبقاً ما هو اتجاهه وقصده. والجملة الثانية: «وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ شَقِيَ فَكَسِلَ». لا تجعلنا من أولئك التعساء المبتلين بالكسل والبطالة. الكسل يعني البطالة والتشاقل. لا تجعلنا اللهم من هؤلاء. هذا ما يعلمنا إياه هذا الدعاء. والعبارة الثالثة: «وَلَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى غَيْرِ عَمَلٍ يَتَّكِلُ». ربنا لا تجعلنا من الذين يعتمدون على شيء غير العمل. القعود والتمني والكلام ونسج الآراء والأفكار في الجلسات من دون أن يكون وراءها عمل.. اللهم لا تجعلنا من هؤلاء. لاحظوا أن هذا هو الدرس الكامن في هذا الدعاء. يدخل المؤمن إلى هذه الضيافة الإلهية في اليوم الأول من شهر رمضان بهذه الأنفاس. هذا بحد ذاته من الموائد الكبرى في هذه الضيافة. هذا أحد الأدعية.

والدعاء الثاني دعاء كل يوم من أيام شهر رمضان المبارك. يقول هذا الدعاء: «وَأَذِيبْ عَنِّي فِيهِ الثُّعَاسَ وَالْكَسَلَ وَالسَّامَةَ وَالْفَتْرَةَ وَالْقَسْوَةَ وَالْغَفْلَةَ وَالْغِرَّةَ» (٦). ربنا أبعد عني هذه الخصال والصفات، والصفات المقصودة هي: أولاً النعاس، وثانياً الكسل، وهو نفسه البطالة والتشاقل والتعاس، وثالثاً السامة، أي الملل والتبرم بالشيء، ومن ثم صفة الفترة أي التساهل وعدم الهمة وعدم الاهتمام في الأعمال وعدم مراعاة الجودة والمتانة والقوة في الأعمال. ومن ثم القسوة أي صلابة القلب والتجبر وعدم المرونة. وبعد ذلك الغفلة أي الذهول والشروود عن الموقف والوضع الذي نحن فيه وعن ما يحدث ويمر بنا وعن ما هو أماننا وحولنا من الأمور والأوضاع. والصفة الأخيرة هي الغرّة أي الانخداع والغرور.. اللهم جنبنا هذه الصفات والأحوال واجعلنا حذرين منها. لاحظوا أية دروس هذه. طيب.. تطبيق هذه المفاهيم - وهي مفاهيم راقية وممتازة جداً - أهم بكثير بالنسبة للمسؤولين والقائمين على الشؤون الجمعية من تطبيقها بالنسبة للأشخاص العاديين. حين نقول اللهم لا تبتلنا بالكسل ولا تبتلنا بالقسوة ولا تبتلنا بالغفلة، فنحن بحاجة إلى هذا التسديد الإلهي وهذه المراقبة من جهتين: الأولى من الناحية الشخصية الخاصة بنا لكي لا ننزلق ولا نزل ولا نخطئ ولا نقع في المشكلات، والثانية من ناحية دائرة مسؤوليتنا والجهاز الذي نديره. هذا يختلف عن الشخص الذي يركب سيارته الشخصية ويسير لوحده في الطريق. مسؤوليته هنا هي مسؤوليته عن حياته فقط. أما أنتم فلا، لأن هناك جماعة من الناس معكم. هذا هو ما يزيد من ثقل كفة المسؤولية وضرورة الالتزام في ما يخص هذه المسائل والأمور.

شهر رمضان في أدبياتنا الدينية هو شهر التقابل بين الشيطان والسلوكيات الشيطانية من جهة والسلوكيات الرحمانية والطاعة والعبودية من جهة ثانية. يقال إن الشيطان في شهر رمضان مغلول - هذا من جهة -

ويقال إن شهر رمضان هو شهر الطاعة والعبودية، وأبسط كلمة وأقصرها وأعمقها معنى في هذا الباب هو كلمة التقوى: ﴿كَتَبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كَتَبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٧). القضية قضية التقابل بين الشيطان والتقوى. عمل الشيطان هو الإغواء، فما معنى الإغواء؟ معناه إيجاد خلل في أجهزة حساباتكم - هكذا هو الشيطان بالتالي - والنقطة المقابلة لذلك هو ما تفعله التقوى. يسعى الشيطان لأن يغيوكم، بمعنى أنه يعطل جهاز العقل وجهاز الفطرة وجهاز الفحص والحسابات الدقيقة المودع في وجود الإنسان. أي إنه يحاول أن يوقع الإنسان في أخطاء في حساباته. ومهمة التقوى على العكس من ذلك: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (٨). التقوى تمنحك الفرقان، أي الوعي والقدرة على التمييز بين الحق والباطل. ويقول في آية كريمة أخرى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ (٩). من شأن التقوى أن يفتح الله تعالى عليكم أبواب العلم والوعي والمعرفة.

يؤثر الشيطان في جهاز حساباتنا عن طريق التهديد والتطميع، فهو يخوفنا من ناحية: تقول الآية القرآنية الكريمة في سورة آل عمران المباركة: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُم وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٠). في قضية الغزوة التي وقعت بعد حرب أحد - حيث جاءوا وأشاعوا أن العدو قد جاءكم وسوف يفتك بكم وستخسرون كل شيء - قال النبي الأكرم (ص) ليحمل الذين جرحوا اليوم في حرب أحد سيوفهم ويخرجوا للعدو، وإذا لم يخرج منكم أحد فسأخرج لوحدي. وسار النبي الأكرم (ص) وحمل الذين جرحوا في ذلك اليوم في حرب أحد سيوفهم وساروا مع النبي وهزموا العدو الذي كان قد كمن لهم قريباً من المدينة - وقد كان الخبر صحيحاً - وينوي الهجوم عليهم مباغتة، وعادوا. ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلْ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ (١١). ثم يقول: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ﴾ (١٢). من أعمال الشيطان وممارساته التخويف: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ (١٣). إنه يخوفكم من الفقر - حسب أحد الاحتمالات الواردة في معنى هذه الآية الكريمة - وقد كان هذا تهديداً. ومن جهة ثانية هناك التطميع، فمن ناحية أخرى يعطي الشيطان وعوداً خادعة. وهنا أيضاً تقول الآية القرآنية الكريمة: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيَمَيِّتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٤). إنه يعد ويوقظ الآمال في قلوبهم ويرسم لهم مستقبلاً ملوناً معسولاً كاذباً خيالياً مثل السراب يضعه أمام أنظار المؤمنين به.. ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٥).. لكن وعوده كلها خداع.

من جهة هناك التهديد، ومن جهة هناك التطميع. كالسلوك الذي تسلكه أمريكا اليوم دوماً ومعها القوى الاستكبارية. من جهة يهددون ومن جهة أخرى يطمعون. والتطميع ليس فقط التطميع الشخصي، إنما هناك حالات من التطميع العام: «نفعل كذا ونقوم بكذا»، وبعد ذلك لا يفعلون شيئاً، فهم يكذبون. هذا هو عمل الشيطان. كل هذه الأعمال التي يقوم بها الشيطان - هذا الإغراء والإغواء وهذا التهديد والتطميع - من أجل أن يعطل جهاز الحسابات لدى الإنسان المؤمن لتكون حساباته خاطئة، وعندما

يعطل جهاز الحسابات فسوف تفسد الأعمال والأمر طبعاً. الحسابات الخاطئة من أكبر الأخطار. إنها أحياناً تهدد حياة الإنسان، وأحياناً تهدد مصير الإنسان. فقدرة الإنسان وطاقاته وقواه خاضعة لإرادته، وإرادة الإنسان تتأثر بجهاز الحسابات عنده، فإذا عمل جهاز الحسابات بشكل خاطئ سوف تتخذ إرادة الإنسان قراراً خاطئاً وتسير في الاتجاه الخاطئ، وعندئذ ستسير كل طاقات الإنسان وقدراته في ذلك الاتجاه الخاطئ. هذا هو الشيء الذي يجب الحذر منه.

ذكرنا أن المراقبة والدقة والحذر بخصوص الفرد الذي لا يتولى مسؤولية لها معنى، والمراقبة بخصوصنا أنا وأنتم ممن لدينا دائرة مسؤوليات معينة لها معنى آخر. ينبغي أن نحذر ونراقب من أن تصاب أجهزة حساباتنا بالخلل على يد شياطين الأنس والجن، فنفهم المسائل والأمر بشكل مغلوط. ليست الشياطين شياطين الجن فقط، وليست الشياطين إبليس فحسب، «جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا» (١٦). شياطين الأنس والجن يساعد بعضهم بعضاً. وأؤكد هنا: من الأخطاء في الحسابات أن يبقى الإنسان محبوساً في إطار العوامل المادية الصرفة والأسباب المحسوسة. بمعنى أن يتجاهل العوامل المعنوية والسنن الإلهية والسنن التي أخبر الله عنها والأمر التي لا ترى بالعين. هذه من الأخطاء الكبرى في الحسابات. لقد قال الله تعالى: «إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» (١٧). فهل أوضح من هذا؟ إذا سرتم في سبيل الله ونصرتم دين الله فإن الله سينصركم. هذه سنة إلهية، ولا تقبل التغيير والتبديل: «وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» (١٨). إذا تحركتم وعملت على سبيل إحياء دين الله وراعيتم هذه القضية فإن الله سينصركم. هذا ما قاله القرآن الكريم بهذه الصراحة على شكل وعد إلهي. وقد جرّنا هذا الشيء على الصعيد العملي. إعلموا أن هذا المقطع من تاريخ الثورة والذي سيناقش على مدى تاريخ طويل من قبل الأجيال القادمة، هو من أبرز وأهم المقاطع التاريخية. في العالم المادي، وفي عالم هيمنة القوى الكبرى، وفي عالم المحاربة الشاملة للإسلام والمعارف والقيم الإسلامية، يظهر نظام على أساس الإسلام وفي موطن يخضع أكثر من أي موطن آخر لعوامل تلك القوى التحريفية. هذا شيء عجيب. أنا وأنتم تعودنا على هذا الشيء. وهذا هو مصداق لـ «إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ». أي لا تتزلزلون، ونحن لم نتزلزل. الشعب الإيراني لم يتزلزل. تعرّض الشعب الإيراني لكل هذه الضغوط ولكل هذه المؤامرات ولكل هذا الأذى ولكل هذه الدنئات لكنه لم يتراجع عن مساره. هذه من السنن الإلهية.

تقول الآية القرآنية الشريفة: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا» (١٩). الكلمة الطيبة والخطوة الصحيحة والإقدام النزيه والتحرك والمبادرة في سبيل الله من خصوصياتها أنها تبقى وتستمر وتضرب بجذورها في الأرض وتستحکم وتثمر. نظام الجمهورية الإسلامية هو تلك الكلمة الطيبة، يبقى كالشجرة الطيبة ويزداد قوة

وتجدرأ. إن نظام الجمهورية الإسلامية اليوم باعتباره نظاماً وحكومة ومجموعة سياسية لا يقبل المقارنة من حيث القوة والمتانة بما كان عليه قبل ثلاثين عاماً. يقول سبحانه وتعالى بعد آيتين: «يَبِثُّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ» (٢٠). إنه يكرّر هذا التثبيت والإثبات ثانية. ينبغي مشاهدة هذه العوامل، وينبغي أخذ هذه العوامل بنظر الاعتبار في حساباتنا. لا تقتصر كل عوامل السعادة والشقاء والتقدم والتراجع والنجاح وعدم النجاح على إطار العوامل المادية المألوفة التي يرتاح لها الماديون وأهل المحسوسات. إنما توجد إلى جانبها عوامل معنوية.

ما أريد أن أقوله في هذا الجانب من كلمتي - وهذه هي النقطة الرئيسية التي أقصد الإشارة لها - هو أننا يجب أن لا نخطئ في حساباتنا اليوم، فلا تسمحوا للعدو بالتأثير على جهاز حساباتكم، ولا تسمحوا له بإغرائكم وإغوائكم، ولا تسمحوا لتنظيمه أو تهديده بالتأثير عليكم. معركة الجمهورية الإسلامية اليوم مع الاستكبار - والتي بدأت بالثورة وهي مستمرة بكل قوة - هي نفسها معركة الأنبياء مع طواغيت زمانهم ومع شياطين الإنس والجن. إننا نسعى لتحقيق المبادئ السامية ونحاول تشكيل مجتمع إسلامي ونظام إسلامي وبلد إسلامي وأمة إسلامية وتحقيق الآمال الكبار للأنبياء والصديقين والشهداء. والأجهزة الشيطانية في هذا العصر تصطف في جبهة واحدة وتعارض بالطبع مثل هذا التحرك. لذلك فهي تمارس العرقلة وتمارس الإيذاء وتهدد. ومع ذلك ورغم كل هذا البريق والبهارج التي تمتلكها تلك الجبهة والجلال الظاهري والقدرات المادية التي تحوزها، تتواصل هذه الحركة الإلهية وهذه المسيرة النبوية وتتقدم إلى الأمام وتترك تأثيراتها وتنمو وتزدهر يوماً بعد يوم وتعمق باطراد.

وهذا هو ما نشاهده اليوم في مجمل سلوكيات الأجهزة الاستكبارية. الهدف هو إيجاد خلل وإرباك في نظام وأجهزة حساباتنا أنا وأنتم. لم يستطع الاستكبار فعل شيء في الساحات الأخرى. في الساحات الواقعية هناك عاملان ماديان بيد جبهة الاستكبار: العامل الأول التهديد العسكري، والثاني هو فرض الحظر الاقتصادي. لا يمتلك الاستكبار أي شيء غير هذين الشئيين. من حيث قوة المنطق والقدرة على إقامة الدليل والقدرة على إثبات الأحقية، أيدي الاستكبار مغلولة وفارغة. لا يستطيع سوى فعل شئيين: الأول التهديد العسكري وهو يهدّد عسكرياً على الدوام، والثاني هو الحظر الاقتصادي. ولهذين الشئيين علاجهما. يجب إحباط الحظر بالجهاد في مجال الاقتصاد المقاوم. هذه النقطة التي ذكرها اليوم رئيس الجمهورية المحترم، وكان قد ذكرها سابقاً، هي نقطة صحيحة تماماً: يجب البرمجة للخطط الاقتصادية ومتابعتها وتحقيقها على أساس وعلى افتراض أن الحظر سيبقى. لنفترض أن هذا الحظر لن يقل حتى بمقدار ذرة، وهم أنفسهم يقولون هذا. هم أيضاً يقولون إن حالات الحظر لن تتغير، بل لقد بدأوا من الآن بالقول إنه حتى لو توصلنا إلى اتفاق بشأن الملف النووي فلن يعني ذلك رفع كل الحظر، إذ لا تزال توجد أشياء أخرى. وهذا هو ما كنا نقوله دوماً. لقد قلت مراراً في هذه الجلسة وفي جلسات أخرى متعددة

(٢١) إن الموضوع النووي مجرد ذريعة. حتى لو لم يكن هناك ملف نووي لجاءوا بذريعة أخرى من قبيل قضية حقوق الإنسان، وقضية حقوق المرأة، وسيختلقون الكثير من القضايا المتنوعة، ويزيفونها ويتخذونها ذريعة، وهذا ما لا يحتاج إلى كثير من الجهد والأرصدة، فالأجهزة الإعلامية والإمبراطورية الإعلامية موجودة تحت تصرفهم. إذن، علاج الحظر هو هذا الاقتصاد المقاوم، وسوف أذكر لاحقاً بعض الأمور عن هذا الجانب.

أما قضية التهديد العسكري، فقلّ ما يوجد اليوم في العالم من يأخذ خيار التهديد العسكري مأخذ الجد. والأمريكان أنفسهم يقولون إن الإيرانيين لا يأخذون هذا الخيار مأخذ الجد. لسنا وحدنا الذين لا ننظر إليه بجد، فهناك كثيرون في العالم لا ينظرون لهذا التهديد بجد. المراقبون العالميون لا يعتقدون كثيراً أن هذا التهديد تهديد جاد، لأن تشخيص المراقبين العالميين والعارفين بالسياسة هو أنه لو كان الهجوم العسكري مجدداً بالنسبة لأمريكا لما ترددت فيه حتى للحظة واحدة. هل ينزعجون لأن بعض الناس سيقتلون وستعمر الأزمات منطقة من المناطق؟ الذين دعموا بكل قواهم ولمدة ثمانية أعوام ذنباً اسمه صدام، والذين ضربوا في الجوّ طائرة الركاب دون أية ذريعة (٢٢) ودمروا مئات الأشخاص - نساء ورجالاً وأطفالاً أبرياء آمنين - وجزّروهم، هل يتورع هؤلاء عن قتل البشر؟ الذين خلقوا الأزمات أين ما استطاعوا وامتدت أيديهم، وأوجدوا هذه التجمعات الملونة - وعلى حد تعبيرهم الثورات الملونة - في هذه البلدان، في أيّ واحدة من هذه الحالات لم تكن القوى الاستكبارية وعلى رأسها أمريكا حضارة وسباقاً؟ يخلقون الأزمات داخل البلدان ولا يهتمهم أن تؤدي هذه الأزمات إلى مذابح أو حروب داخلية. الذين هاجموا بلد أفغانستان وهاجموا العراق وقتلوا مئات الآلاف، الذين قتلوا البشر في العراق، حتى بعد انتهاء العمليات العسكرية، وعلى يد أجهزة أمنية وشركات مرتزقة تعمل على قتل البشر مثل بلاك ووتر - وقد ذكرناها ذات مرة سابقاً - (٢٣) شخصاً شخصاً في بغداد وغيرها من مدن العراق، هل يهاب هؤلاء قتل البشر؟ هل يهابون قتل الإنسان؟ هل يهتم هؤلاء لمثل هذه الأمور؟

ليست القضية أنهم لا يريدون تنفيذ التهديد العسكري. يقولون دوماً إن إسرائيل تهدد عسكرياً وأمريكا تمنعها من التنفيذ! طيب، لماذا تمنعها أمريكا؟ إذا كان هذا الكلام صحيحاً وحقيقة فما هو السبب؟ هل لأن ضميرهم سوف يؤنبهم كثيراً بسبب هجومهم العسكري على بلد سيؤدي إلى مقتل عدد من الناس؟ لا، بل لأنهم يعتبرون الهجوم العسكري غير نافع وغير مجد. وأنا أقول بحسم إن الهجوم العسكري على الجمهورية الإسلامية غير مجد بالنسبة لأيّ بلد من البلدان. الأمريكان أنفسهم اليوم يعتبرون الهجوم على العراق خطأ. النقطة المهمة واللافتة هي أنهم لا يعتبرونه خطأ من باب أنه كان جريمة، لا، إنما يقولون إنه لم يكن مجد ونافعاً بالنسبة لأمريكا! بمعنى أنه لو كان مجد لأمريكا لما كان فيه مؤاخذه. لا يقولون

إننا أخطأنا لأننا قتلنا البشر وهاجمنا الناس الأبرياء وهجم جنودنا ففتحو أبواب بيوت الناس برفسات أرجلهم وضربوا النساء والأطفال بالدماء والتراب أمام أنظار الجميع. لا يقولون هذا.

جنودهم الآن وبسبب الفجائع التي حصلت هناك يعانون من مشكلات نفسية، لكنهم لا يعترفون بذلك بشكل رسمي، إنما يقولون إن هذا العمل لم يكن نافعاً. طيب، إذن في مجال الحظر وفي مجال التهديد العسكري أيضاً لا يمتلك العدو شيئاً وأيديه خالية: «وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» (٢٤). إذا كنا مؤمنين فلن يستطيع العدو فعل شيء على صعيد الواقع. طيب، الآن وهو لا يستطيع فعل شيء على صعيد الواقع ويده قصيرتان عن التأثير والفعل، فما هو السبيل أمامه؟ السبيل والحل بالنسبة له هو الإخلال في جهاز حسابات الطرف المقابل وإرباكه.. جهاز حساباتنا أنا وأنتم، وهو يمارس هذه العملية بالإعلام وبالعمل السياسي وبالاتصالات المتعددة المتنوعة، فهم يعلمون أن الجمهورية الإسلامية ذات قدرة على الوصول إلى أهدافها، ويجب أن لا تريد الوصول إلى تلك الأهداف، أما إذا أرادت فهي قادرة، لذلك يريدون فعل شيء من شأنه صرف الجمهورية الإسلامية عن هذه الإرادة. هذا ما يسعى له العالم الاستكباري وعلى رأسه أمريكا في الوقت الحاضر، وهذه هي نفسها الحرب الناعمة التي تحدثنا عنها منذ سنوات وتحدث وكتب عنها الآخرون وناقشوها.

لا يستطيعون تغيير حساباتنا، فلقد كانت حسابات الجمهورية الإسلامية منذ اليوم الأولى قائمة على أساس المنطق العقلاني، وعلى أساس قوة عاقلة. العناصر التي كوّنت هذه الحسابات هي: أولاً الثقة بالله وسنن الخلق، وثانياً عدم الثقة بالعدو ومعرفته معرفة جيدة. من مصاديق الثقة بالله وسنن الخلق الثقة بالناس والشعب، والثقة بإيمان الأفراد والثقة بمحبتهم والثقة بالدوافع والمحفزات الصادقة، والثقة بصدق الناس - وقد كان إمامنا الخميني الجليل مظهراً لهذه الثقة - والإيمان بالذات وقدراتها وبأننا قادرين، والتوكؤ على العمل واجتناب البطالة والتعاس، والثقة بنصرة الله وتأييده، والاعتماد على الواجب والجهاد والعمل الدؤوب في سبيل أداء الواجب. هذه هي الأمور التي شكلت منذ البداية وإلى الآن مجموعة عناصر القوة العقلانية للنظام الإسلامي وكانت أساساً وركيزة لمسيرتنا. راجعوا كلمات الإمام الخميني وستجدونها مليئة زاخرة بهذه المعارف والمعاني، الانتفاع من التجارب، تجارب سلوك القوى المستكبرة مع الشعوب الخاضعة لها، والجهاد من أجل الاستقلال والبقاء على حالة الاستقلال والعيش باستقلال. ما معنى الاستقلال - والبعض ينالون من أساس مفهوم الاستقلال ويتساءلون ما معنى الاستقلال - الاستقلال معناه التحرر من إرادة الأجانب وإرادة الآخرين، هذا هو معنى الاستقلال، وهو ما لا يستطيع أي عاقل إنكاره؟ معنى الاستقلال هو أن يقرّر الشعب مصيره بنفسه. لقد عانى هذا البلد سنين طويلاً من عدم الاستقلال. كان هناك استقلال سياسي ظاهري، لكن الآخرين كانوا هم العقل الذي يفكر لهذا البلد والنظام الحاكم فيه، كانوا هم الذين يتخذون القرار، وكانوا هم الذين يعملون، وكان هناك أفراد في الداخل

بعضهم منبهرون بالأجانب وبعضهم غير منبهرين كثيراً لكنهم مجبرين ومضطرين على السير في ذلك الدرب. الاستقلال هو الوقوف بوجه مثل هذه الحالة.

الاستكبار يعارض هذه العقلانية. إذا ظن أحد بأن اسم الإسلام هو الذي يجعلهم يعارضون الجمهورية الإسلامية فلا، اسم الإسلام والظواهر الإسلامية والتشريعات الإسلامية لا تدفع أي طرف لمعارضتها. قال الإمام الخميني ذات مرة في كلمة له (٢٥) إن البريطانيين عندما دخلوا العراق في العقد الثاني من القرن العشرين - ألف وتسعمائة ونيّف - وسيطروا عليه، وجد أحد القادة العسكريين البريطانيين أن شخصاً يرفع صوته بنداء ما فاضطرب - وكان شخص يؤذن فوق مئذنة - فسأل القائد العسكري ما هذه الهتافات والأصوات؟ قالوا له إنه رجل يؤذن. فقال: هل هو نداء ضدنا؟ فأجابه أحدهم: لا، فقال القائد العسكري: إذن فليقل ما يريد. الأذان إذا لم يكن ضدّهم وهتاف «الله أكبر» الذي لا يصغّروهم، يقولون له فليقل ما يريد. القضية ليست قضية اسم الإسلام والتشريعات الإسلامية. تحمل بعض البلدان في الوقت الراهن اسم الإسلام وتعمل بالتشريعات الإسلامية بدرجات تنقص أو تزيد، لكن نفظها تحت تصرف الاستكبار، وإمكانياتها وطاقاتها بيد الاستكبار، ومصادرها الحيوية بيد الأجانب، فلا يعارضونها أبداً، بل هم أصدقاء بدرجة عالية.

قرأت مؤخراً كلاماً جيداً في مكان ما، يقول أحد خبراء الحكومة الأمريكية: المصالحة بين إيران وأمريكا ممكنة، لكن المصالحة بين الجمهورية الإسلامية وأمريكا غير ممكنة. كلامه هذا صائب. إيران التي تقف على رأسها العائلة البهلوية - التي تمنح كل شيء لهم - من الطبيعي أن تكون المصالحة معها شيئاً ممكناً، وليس ممكناً وحسب، بل واجباً. الأمر يتجاوز الإمكان، فهو شيء ضروري ولازم بالنسبة لهم. القضية هي قضية الجمهورية الإسلامية، والجمهورية الإسلامية تعني الاستقلال والحرية والالتزام بالإيمان الإسلامي والسير على درب الإسلام وعدم الاستسلام لما يفرضه الأعداء، ودعوة الأمة الإسلامية إلى الاتحاد - على الضدّ تماماً مما يريدونه - وهم يخاصمون هذه الأشياء طبعاً. لقد كان هذا هو لباب ما أردنا قوله: لا ننسى الثقة بالذات، ولا ننسى الإيمان، ولا ننسى العمل، ولا ننسى عدم الاستسلام للكسل والتماهي والملل والتبرّم. هذه هي دروس شهر رمضان.

ونذكر هنا بعض التوصيات: إحدى التوصيات نخاطب بها كل المسؤولين. النظر في الأوضاع السياسية في العالم والمنطقة يشير إلى أننا نمّر بفترة حساسة. الفترة الراهنة منعطف تاريخي بالمعنى الحقيقي للكلمة. اعلموا هذا! إذا لم تكونوا أقوياء فسوف يفرضون عليكم منطلق القوة، لا من قبل أمريكا والغرب، بل حتى من قبل كائن مثل صدام. إذا لم تكونوا أقوياء فسوف يتعسفون معكم ويفرضون عليكم ما يريدون. يجب أن تصبحوا أقوياء، فما هي عناصر القوة؟ كيف يمكن أن نصل إلى نتيجة أننا أقوياء ونقتنع بذلك؟ المعنويات والأمل والعمل والجد والجهد ومعرفة الثغرات الاقتصادية والثغرات الثقافية والثغرات

الأمنية - اعرفوا هذه الثغرات وشاهدوها ولا تغيب عن أنظاركم - وهناك أيضاً التعاضد والتكامل بين الأجهزة المسؤولة، فلتعاون الأجهزة المسؤولة، وهناك التكامل والتعاضد بين الأجهزة المسؤولة والشعب.. هذه هي عناصر القوة. هذه توصية موجهة للجميع.

التوصية الثالثة هي أن تنظموا الحركة على أساس أصول الثورة، وتجنبوا الأمور الجانبية وتركزوا على حل مشكلات الناس. رابعاً اهتموا بالتقارب القطاعي والتقارب ما بين السلطات. إنني أوصي المسؤولين المحترمين في السلطات الثلاث دوماً بعقد اجتماعاتهم المشتركة بانتظام، فالكثير من الأمور تعالج وتحل في هذه الاجتماعات المشتركة: اجتماعات الحكومة ومجلس الشورى، واجتماعات السلطة القضائية والحكومة، واجتماعات السلطة القضائية مع مجلس الشورى، هذه اللقاءات وتبادل وجهات النظر مع الآخر من شأنه أن يعمل على التكامل. وقضية الإدارة الجهادية هي توصيتنا للجميع.

وهناك توصية خاصة للحكومة والسلطة التنفيذية: أولاً ليعلم الجميع أنني أدمع الحكومة. إنني استخدم كل ما لدي من قدرة وطاقه لمساعدة الحكومة، وأنا أؤيد الحكومة وأدعمها كباقي الحكومات السابقة. وأنا أثق بالمسؤولين رفيعي المستوى في الحكومة، أولئك الذين أعرفهم. كل الحكومات التي تولت الأمور بعد الثورة منتخبة من قبل الشعب، وقد دعمت كل هذه الحكومات في كل هذه الفترات حينما كنت مسؤولاً. وكل الحكومات لها نقاط إيجابية ولها نقاط سلبية. ما من حكومة يمكنها القول إن كل نقاطها إيجابية أو بوسع أحد القول إن كل نقاطها سلبية، لا، هناك نقاط إيجابية وسلبية إلى جانب بعضها. طبعاً بخصوص الحكومات السابقة الأفضل أن يكون النقد علمياً خبيرياً، وليست ثمة كثير مصلحة في النقد من على المنابر العامة، وبخصوص الحكومة الحالية يجب أن يكون النقد منصفاً ومحترماً ومخلصاً، ولا يكون بمعنى تسقط العثرات والإيذاء. هذه هي الفكرة الأولى. وثانياً أقول للمسؤولين في الحكومة بأن يأخذوا الاقتصاد المقاوم مأخذ الجد. تحدث رئيس الجمهورية المحترم عن هذا الموضوع وتحدث المسؤولون الآخرون قليلاً أو كثيراً، ولكن يجب العمل: «وَلَا مِمَّنْ عَلَى غَيْرِ عَمَلٍ يَتَّكِلُ». لا يكن الأمر بحيث نقول شيئاً بألسنتنا ونعمل بطريقة بطيئة. الاعتماد في الاقتصاد المقاوم على الإنتاج الداخلي وعلى تمكين البنية الاقتصادية الداخلية، وهذا هو الازدهار الاقتصادي، فالازدهار الاقتصادي يحصل بالإنتاج وتنشيط الإمكانيات الداخلية للبلاد، لا بشيء آخر.

ومن التوصيات المهمة بخصوص الاقتصاد المقاوم توصية موجهة إلى البنوك: على البنوك أن تمارس دورها ويجب أن تتطابق مع مواد وسياسات الاقتصاد المقاوم ومع برامج الحكومة في هذا المجال. وهي بوسعها أن تمارس دوراً إيجابياً، وطبعاً يمكنها أن تمارس دوراً سلبياً. والتوصية الأكيدة لقطاع الصناعة والمعادن هي مضاعفة حراكهم ونشاطهم. العبء الأساسي لخروج البلاد من الركود والتأخر الاقتصادي يقع على قطاع الصناعة والمعادن. يجب بذل الجهود والعمل بشكل دؤوب مضاعف وتشخيص الإمكانيات، فثمة

إمكانيات كثيرة في البلاد، فلينشطوا هذه الإمكانيات وليجعلوها فاعلة. بخصوص قطاع الزراعة يجب القول إن لقطاع الزراعة أهمية حيوية. من الضروري أن تكون نظرة الحكومة وسياسات الحكومة لقطاع الزراعة نظرة دعم، وهكذا هو الحال في كل أنحاء العالم، فالحكومات تدعم قطاع الزراعة. ويجب رفع المشكلات التي يعاني منها قطاع الزراعة ومنها مشكلات المزارعين ومشكلات أصحاب المواشي - وهناك شكاوى تصل حتى إلينا - وإن المرء ليتألم من بعض المشكلات التي يعاني منها هؤلاء.

ثالثاً شعار الحكومة هو الاعتدال، والاعتدال شعار جيد جداً، ونحن نؤيد الاعتدال، فالتطرف مدان وسيئ. التوصية التي أوصي بها هي احذروا من أن يقصوا التيارات المتدينة تحت طائلة شعار الاعتدال، والبعض أخذوا يفعلون هذا، حيث إنني أرى مثل هذا الشيء على الساحة السياسية للبلاد. بشعار الاعتدال وبشعار تحنب التطرف يحاولون إقصاء التيار المتدين الذي يسارع قبل غيره في الأخطار إلى التصدي والدفاع والتضحية، ويدعم الحكومات ويحميها في المشكلات الحقيقية بالمعنى الحقيقي للكلمة. احذروا من هذا الشيء. الإسلام هو مظهر الاعتدال. الآية: «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» (٢٦) توصي بالاعتدال وتمثل الاعتدال. والآية: «فَاتَّبَعُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ» (٢٧) تمثل الاعتدال، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اعتدال. هذا هو معنى الاعتدال بالتالي، ليس معنى الاعتدال أن نمنع الأعمال الحساسة التي تمثل واجبات فردية على الشخص المؤمن المتدين والتيار المتدين والجماعة المتدينة.

وتوصية للتيارات السياسية والصحفية.. لدينا توصية للإخوة والمسؤولين في التيارات السياسية والصحافية.. احذروا ودققوا، فالمناخ الصاخب في البلاد ليس لصالح البلاد. لا يثير البعض أعصاب الناس إلى هذه الدرجة التي يشاهدها المرء، فالأمن الفكري والذهني حالة مهمة للناس، فلا تزيدوا من أجواء العراك والخلافات ولا تشددوها. ولا تكررُوا كلام الأعداء دائماً. إنني أطلع كل يوم على عدد كبير من الصحف والجرائد - ككثير من الأشياء الأخرى التي أقرؤها بكثرة - وأجد أحياناً كلاماً وعناوين في الصحف تناسب الصحيفة الأمريكية الفلانية، ويحدث من باب الاتفاق أحياناً أن نجد الشيء نفسه في الصحف الأمريكية وغير الأمريكية والتي تصلنا هي الأخرى، فاحذروا ودققوا، فهذه الطريقة ليست بصحيحة.

من المسائل الحساسة الحالية المسألة النووية، وقد كانت كلمة رئيس الجمهورية المحترم بشأنها جيدة وصحيحة تماماً. الطرف المقابل يريد أن يريكم الموت لترضوا بالحمى كما يقال. هدفهم أن يقنعوا الجمهورية الإسلامية في مجال التخصيب - وهو أحد القضايا المطروحة - بعشرة آلاف سو، لكنهم بدأوا من خمسمائة سو وألف سو. وعشرة آلاف سو هي حصيلة ما يقارب العشرة آلاف جهاز طرد مركزي من النوع القديم الذي كنا نملكه ولا نزال. هذا هو هدفهم. ويقول مسؤولونا بأننا نحتاج إلى مائة وتسعين

ألف سو. وقد لا تكون هذه الحاجة حاجة هذه السنة والسنتين القادمتين أو السنين الخمس القادمة، لكنها حاجة البلاد الأكيدة، ويجب بالتالي تأمين حاجة البلاد. الكلمة الأصلية التي يطرحها الأمريكيان في هذه القضية ليست بكلمة حق. بلد يحتاج إلى الطاقة النووية، وقد استطاع بنفسه وبجهوده وبمتابعته الذاتية ومن دون أن يسرق شيئاً من أحد ومن دون أن يعقد صفقات مع أحد، أن يحقق لنفسه هذا العلم وهذه المعرفة وهذه التقنية، وإذا بهم يقفون ويقولون: لا، يجب أن لا يحقق لنفسه هذا. لماذا؟ ما هو المنطق الذي يقف وراء هذه الـ «يجب أن لا»؟ يقولون إننا نخاف من القنبلة الذرية! أولاً الضمانات للحيلولة دون امتلاك السلاح النووي لها طرقها وأساليبها، ولا إشكال في ذلك. ثانياً إذا كان من المفترض أن يقلق أحد من الأسلحة النووية فهو ليس أمريكياً. أمريكا نفسها تمتلك عدة آلاف من الرؤوس النووية ولديها عدة آلاف من القنابل الذرية، وقد استخدمت القنبلة الذرية، طيب ما شأنكم أنتم؟! من أنتم حتى يجب أن تقلقوا من أن البلد الفلاني سيمتلك أو لا يمتلك سلاحاً نووياً؟! ثم إن الأجهزة المسؤولة يمكنها أن تضمن ذلك. وبالطبع تم ضمان ذلك، أي إن الأمر واضح، وربما كانوا هم أنفسهم يعلمون. أساس كلمتهم ليست بحق.

طبعاً نحن نثق بفريق بلادنا في المفاوضات. ونحن واثقون من أن هذا الفريق لن يرضى بالتناول على حقوق بلادنا وحقوق شعبنا وكرامة شعبنا، ولن يسمح بحصول مثل هذا الشيء. قضية حجم التخصيب قضية مهمة جداً. وقضية التحقيق والبحث العلمي والتنمية ينبغي أيضاً مراعاتها بكل تأكيد، والحفاظ على التشكيلات التي لا يقوى العدو على تخريبها. يشددون على «فردو» لأنه موقع لا يمكنهم الوصول إليه، ويقولون يجب أن لا يكون هناك مكان لا نستطيع توجيه ضربة له! أليس هذا بالشيء المضحك؟

والمسألة الأخيرة هي مسألة المنطقة وقضية العراق وهي في الحقيقة فتنة، وسيستطيع شعب العراق المؤمن إن شاء الله وبتوفيق من الله أن يطفى نار هذه الفتنة ويقضي عليها. وسوف تتقدم شعوب المنطقة إن شاء الله يوماً بعد يوم نحو الرشد والرقى المادي والمعنوي أكثر فأكثر.

اللهم، بمحمد وآل محمد، نسألك أن تجعل ما قلناه وسمعناه لك وفي سبيلك، وأن تتقبله منا. اللهم وفقنا للسعي والجدّ والعمل المخلص. اللهم بمحمد وآل محمد هبّ لنا أسباب رضاك عنا، ولا تحرمنا في هذا الشهر المبارك من رحمتك ومغفرتك، واحشر أرواح الشهداء الطيبة وروح الإمام الخميني الكبير الطاهرة مع أوليائك. اللهم بمحمد وآل محمد اجعلنا من عبادك الشاكرين الصابرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

١ - حجة الإسلام والمسلمين الدكتور حسن روحاني.

٢ - إقبال الأعمال، ج ١، ص ٩٠ .

- ٣ - سورة التوبة، شطر من الآية: ٤٩ .
- ٤ - إقبال الأعمال، ج ١ ، ص ٢٥ .
- ٥ - إقبال الأعمال، ج ١ ، ص ٢٣ .
- ٦ - إقبال الأعمال، ج ١ ، ص ٢٦ .
- ٧ - سورة البقرة، شطر من الآية: ١٨٣ .
- ٨ - سورة الأنفال، شطر من الآية ٢٩ .
- ٩ - سورة البقرة، شطر من الآية: ٢٨٢ .
- ١٠ - سورة آل عمران، شطر من الآية: ١٧٥ .
- ١١ - سورة آل عمران، شطر من الآية: ١٧٤ .
- ١٢ - سورة آل عمران، شطر من الآية: ١٧٥ .
- ١٣ - سورة البقرة، شطر من الآية: ٢٦٨ .
- ١٤ - سورة النساء، الآية: ١٢٠ .
- ١٥ - سورة النساء، شطر من الآية: ١٢٠ .
- ١٦ - سورة الأنعام، شطر من الآية: ١١٢ .
- ١٧ - سورة محمد، شطر من الآية: ٧ .
- ١٨ - سورة الأحزاب، شطر من الآية: ٦٢ .
- ١٩ - سورة إبراهيم، الآية ٢٤ وشرط من الآية: ٢٥ .
- ٢٠ - سورة إبراهيم، شطر من الآية: ٢٧ .
- ٢١ - من ذلك لقاءه بمسؤولي الدولة والنظام الإسلامي بتاريخ: ٢٤/٠٧/٢٠١٢ م .
- ٢٢ - طائرة الركاب المدنية الإيرانية التي كانت بتاريخ الثالث من تموز ١٩٨٨م في رحلة من بندر عباس إلى دبي، وسقطت في منطقة هنكام غير العسكرية فوق الخليج الفارسي بعد إصابتها بصاروخ أطلق من البارجة الأمريكية وينسنز، فاستشهد كل من فيها وكانوا ٢٩٨ راكباً مدنياً منهم ٦٦ طفلاً تحت ال ١٢ عاماً.
- ٢٣ - من ذلك لقاءه بجماعة من طلبة المدارس والجامعات التعبويين بتاريخ: ٣١/١٠/٢٠٠٧ م .
- ٢٤ - سورة آل عمران، الآية: ١٣٩ .
- ٢٥ - من ذلك: صحيفة الإمام، ج ٧ ، ص ٣٩٣ .
- ٢٦ - سورة الفتح، شطر من الآية: ٢٩ .
- ٢٧ - سورة التوبة، شطر من الآية: ١٢٣ .